أ- الحقيقة أن وضعية الشعر في هذا العصر تبدو قلقة بعض الشيء مما جعل الباحثين يحجمون عن دراستها ولا يقربونها إلا بحذر شديد، وربما اعتبروها مجرد فترة انتقالية فاصلة بين عصرين واضحي المعالم والملامح، وربما ذهبوا في توضيح ذلك إلى أن هذه الفترة لم تعرف شعراء اختصوا بها نشأة ونبوغا وإنتاجا، وإلى أن الذين شغلوها بشعرهم كانوا على نوعين:

1- إما مخضرمون بمعنى أنهم موزعون بين هذه الفترة والعصر الجاهلي، ولعلهم أميل إلى أن يدخلوا فيه فيعتبروا من شعرائه.

2 – وإما موزعون بينها وبين العصر الأموي الذي برزوا فيه وهم بهذا أحق بأن يعتبروا شعراء أمويين.

ععف الشعر في الإسلام:

ب- إذا رجعنا إلى أقوال النقاد في تعليل ضعف الشعر في هذه الفترة الأولى لصدر الإسلام ألفيناها تتلخص فيما يلي:

ت- إن الشعر بدأ يضعف في الفترة التي سبقت الإسلام مباشرة حيث إنها لم تعرف فحولا مجودين كامرئ القيس والنابغة الذبياني .... وعند الدكتور نجيب البهبيتي :" أن تشبيه مشركي قريش النبي بالشاعر ورفع القرآن نفسه عن هذا المعنى جعل الناس ينظرون إلى الشعر على أنه تقليد جاهلي، فأصابه من ذلك ما أصاب جميع التقاليد الجاهلية التي حاربها الإسلام، وكأنما كان الناس ينظرون إليه نظرتهم إلى أثر وثني لعصر وثني ذهب بكل أثقاله وبذكرياته الذامية".

ث- الانشغال بأمر الدين الجديد، "فابن سلام" يقول:(فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته)، ويقول "ابن خلدون" :(ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا، ثم استقر ذلك وأونسوا الرشد من الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره، وسمعه النبي عليه (ص) وأثاب عليه فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه).

ج-من بين الأسباب التي يعزوا إليها بعض الباحثين ضعف الشعر في هذه الفترة وعدم ظهور تغيرات كبيرة فيه، أن الشعر قد وصل في صورة مكتملة متقنة، سواء من حيث الشكل أو المضمون مما يجعل تطويره أو إضافة شيء جديد إليه، حتى بالنسبة للعصور التي جاءت بعده، أمرا لا يخلو من صعوبة وربما تكلف. يقول "ابن رشيق القيرواني":(إنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء فأحكمه وأتقنه ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن).

ح- **غض القرآن من الشعر:**

حقا إن القرآن تعرض للشعر وهاجم الشعراء: : (**والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لايفعلون**)، وحقا إن القرآن نزه الرسول عن قول الشعر (**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**)، (**وماهو بقول شاعر**) والسر في هذا التنزيه أن الله وصف الشعراء كما رأينا بأنهم غاوون كاذبون، ولكن المقصود بالشعراء في

هذه الآية الشعراء المشركون الذين كانو يقفون في وجه الدعوة،يهاجمون الرسول وأصحابه، أما الذين آمنوا ووقفوا في واجهة الدفاع عن الإسلام فإن القرآن يستثنيهم في نفس السورة (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

ثم إنه لا ينبغي أن ننسى ما كان يعتقده الناس من " أن للشاعر الجاهلي شيطانا أو رئيا من الجن يلهمه وأحيانا كان يدفعه بفظاظة إلى الإنشاد، فلما جاء الإسلام اقتضى الوضع الجديد أن يميز الناس بين الوحي الذي يختص به النبي والإلهام الذي يتصل بالشعر.

ثم إن القرآن من جهة كان من الروعة البيانية والسحر الأدبي ما جعل قيمة الشعر تنزل إلى حد كبير فقد" شهدت الجماعة الإسلامية هذا التيار من الترغيب في القرآن والاكتفاء به لا من حيث إنه كتاب الدعوة فحسب، بل من حيث إنه في روعته البيانية فوق ماورث العرب من تليد الشعر، وأن سحره الأدبي ليجاوز طاقة البشر ويخلف وراءه كل هؤلاء الشعراء الموجودين.

عدم اصطناع الرسول عليه (ص) للشعراء وتقريبهم إليه.

ولو أنعمنا النظر في أحاديث الرسول(ص) وتوجيهه للشعر لرأيناه يحب الشعر ويحث على الجيد الكريم منه، ويأبى الفاحش والقبيح والرفث منه. فهو يرى أن الشعر كلام يقبل ويرفض علىِ وفْقِ قربه من الحق ودعوته له" إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه" ويقول (ص):" والشعر بمنزلة الكلام حَسَنهُ كحسن الكلام وقبيحه كقبح الكلام".(سنن البهيقي الكبرى: ج 10 ص:231).

وقد كان الرسول عليه (ص) يدعو إلى مكارم الأخلاق " إن الشعر سجع من كلام العرب به يعطى السائل وبه يكظم الغيظ وبه يؤتى القوم في ناديهم" وكان (ص) عالما بالشعر وَيَرْتاحُ له، ولم يزل يُعجبه الشعر ويُمدح به فَيُثِيبُ عليه ويقول:" الشعر ديوان العرب" وقال (ص):" إن من الشعر حكمة، وإذا التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي". وكان (ص) يوزع الشعراء حسب الميول والإجادة في أساليب الهجاء المختلفة، فقد قال لكعب: "أنت تحسن صفة الحرب وحسان للهجاء بالمثالب والأنساب وأما بن رواحة للهجاء بالكفر والشرك". وكان لتوجيهه هذا (ص)، أثر في الخلفاء الذين جاءوا بعده. لذلك اتسمت أغراض شعراء الرسول (ص) بِصَبْغٍ إسلامي خالص في معانيه وتعبيراته وألفاظه، فيما حاول شعراء الأنصار الذين تعمقوا روح الإسلام من محاكاة الصيغة الإسلامية والتعاليم الدينية وآيات الكتاب الحكيم.

ونخلص إلى أن الشعر في عهد الرسول (ص) لم يخرج كثيرا عما كان عليه شعر ما قبل الإسلام في موضوعاته ومعانيه وروحه، إلا أن الأغراض في عصر ما قبل الإسلام متعددة، فيما انحسرت أو كادت في المدح والهجاء بين الفريقين في مرحلة صدر الإسلام.

- **<u>تأثير الإسلام في الشعر:</u>** مولاي عبد المالك الداودي

عند "بروكلمان" أن الإسلام " لم يؤثر تأثيرا عميقا في شعراء العرب كما يريد الناقد العرب أن يقنعونا بذلك، فقد سلك شعراء العصر الأموي دون مبالاة مسالك أسلافهم الجاهليين، ولم تسد روح الإسلام حقا إلا بعد ظهور العباسيين. وهذه الروح الإسلامية لم يقتصر اتجاهها حينئذ على محاربة تهاون العرب الديني فحسب، بل

قاومت كذلك طبيعته العصبية القومية نفسها، فإن العباسيين قد استعانوا على العرب بالموالي وخصوصا بمن أسلم من أهل خرسان، واعتمدت دولتهم على العجم وإن استقامت نخوة العرب في العراق".

وقد عارض "شوقي ضيف" هذا الرأي حيث حاول في كتابه " التطور والتجديد في الشعر الأموي" إبراز تأثير الإسلام في هذا الشعر. وإذا كان مثل هذا الكلام يقال عن الشعر الأموي فما لا شك فيه أنه ينطبق على الشعر في أول الإسلام، ولكننا لا نبالغ في إنكار تأثير الإسلام في الشعر كما لا نبالغ في إثبات هذا التأثير. والحق أننا نستطيع أن نشير إلى بعض الجوانب التي ظهر فيها الذين الجديد مؤترا في الشعر:

أصبح الشعر يخدم الدعوة الجديدة بعدما كان يخدم القبيلة، فقد أصبح له دور دفاعي حيث غدا من أسلحة الإسلام القوية التي واجه بها خصومه وأعداءه، وخاصة قريش وحلفاؤها من يهود وأعراب، وكانوا قد جندوا الشعراء لمواجهة الدين الجديد.

ومع ذلك فإن هذا الشعر في جوهره لم يتغير كثيرا، فقد بقي يدور حول نفس الأغراض التي كان يدور فيها من مدح وهجاء وفخر وحماسة معتمدا في كثير من هذه الأغراض على أيام العرب ومثالبها وأنسابها.

وليس معنى هذا أن الإسلام لم يلق بظلال على الشعر بل إنه كان يلقيها عليه ولو خافتة، ولعله يكفي أن نلاحظ مدح الرسول وأصحابه وهجو أعدائه وخصومه والإشادة بالفتوح وما كان يتعلق بها من وصف الحروب ورثاء الشهداء، وأن نلاحظ كذلك ما كان ينشد في المعسكر المقابل للرسول (ص) لنعرف إلى أي مدى هزت الدعوة الجديدة عواطف الشعراء، وإن كنت أشك في أنه هز رفيق عفيف.

ولعلنا ونحن نقرأ هذا الشعر سواء منه الموالي للإسلام والمعادي له، لا نلبث أن نلاحظ تطورا في بعض ألفاظه ومعانيه. فألفاظ مثل الجنة والنار والثواب والعقاب والصلاة والزكاة والركوع ومعاني الاستشهاد ونعيم الآخرة وعذاب النار، كل هذه عناصر جديدة لم يكن يعرفها شعراء الجاهلية.

ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نذهب إلى أن الإسلام أثر تأثيرا بعيدا وعميقا في الشعر خلال هذه الفترة الأولى من حياته، فالصورة القديمة ظلت قائمة ولم تدخلها غير بعض التعديلات الجانبية التي لم تكن لتمس جوهر هذه الصورة فتصبغها بأصباغ جديدة.

أما فيما يتعلق بالأسلوب خاصة فقد كان للقرآن الكريم أثر ظاهر في الألفاظ والتراكيب ولقد ساعد القرآن على توحيد لغة المخاطبة بين المسلمين في جميع أقسام شبه جزيرة العرب. ولا ريب في أن هذا الأثر كان يقوى مع الأيام حتى بلغ ما بلغ.

مولاي عبد المالك الداودي

وكثر في هذا الشعر الإسلامي الأول الرثاء للشهداء والتمدح بالإسلام، وكثر في ذلك الشعر كله ضرب الأمثال وإيراد الحكم والقصد إلى المواعظ مما يحث على مكارم الأخلاق وعلى التمسك بالآداب التي كانت مثلا عليا حتى في أيام الجاهلية وكل ذلك كان تأثرا بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف. وتطور الهجاء القبلي من هجاء يوري بالأحقاد ويثير النفوس إلى نقاش سياسي بين شعراء الأحزاب المختلفين، يتخلل ذلك النقاش تهديد جاهلي قديم. ويمكن وصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه وفنونه، ومعانيه وأخيلته، وألفاظه وأساليبه، وأوزانه وقوافيه، بما يلي:

نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه وخاصة زمن النبي وخلفائه الراشين.
التحريض على القتال والترغيب في نيل الشهادة، وذلك في أزمان غزوات النبي وفتوح الأمصار.
الهجاء: وكان في سبيل الدفاع عن الإسلام، يهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة، وبما رضيه النبي من حسان في هجاء قريش.
وصف القتال وحصار المدن وفتحها وغير ذلك.
وخلاصة القول نجملها في أن وظيفة الشعر ووسائله الفنية والموضوعية، لم تتغير عما كانت عليه في العصر الجاهلي في هذه الفترة المتأخرة من ظهور الإسلام. وقد كان الرسول عليه (ص) على نحو ما رأينا، يعرف لهذا الفن خطره ودوره في مثل هذه المواقف، وهذا كله ، سواء ما رويناه من أخبار أو ما وقفنا عنده من أشعار، يؤكد ما نذهب إليه من أن حركة الشعر في هذه الفترة ، فترة صدر الإسلام، كانت امتدادا للشعر في العصر الجاهلي، وأن التغيير لم يحدث إلا بعد فترة غير قصيرة من ظهور الإسلام، كانت العرب فيها قد استقرت، وأُخذوا تحت تأثير الدين الجديد والحضارة الوافدة، يحدثون تغييرات واسعة في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية مما تدل آثاره على أساليبهم الشعرية على نحو ما سوف نرى.

المحاضرة الثانية: النثر في صدر الإسلام:

إن النثر الذي وصل من الجاهلية نزر قليل جدا، فلقد كان احتفال الرواة بالشعر أعظم، وإذا نحن قارنا النثر الذي أنشئ في صدر الإسلام بما روي لنا من النثر الجاهلي من الأمثال والخطب والوصايا، أدركنا أن النثر الإسلامي الأول استمرارا للنثر الجاهلي، وإن كان النثر الإسلامي الأول يختلف عن النثر الجاهلي في أمور:
أ – كان هذا النثر الإسلامي الذي وصل إلينا أكبر مقدارا وأوسع مدى، فإلى جانب أحاديث رسول الله وخطبه عليه (ص)، نجد خطب الخلفاء الراشين وخطب قادة الجيش.
ب – موثوق الرواية.
ج – ثم إن هذا النثر كان شديد التأثر في أغراضه وأساليبه بالقرآن الكريم. فقد كان أفصح ألفاظا وأسهل تركيبا وأعذب تعبيرا، لأن الناثرين قد تأثروا ببلاغة القرآن الكريم التي كانت تجري في أساليب متعددة بتعدد الأغراض من ترغيب وترهيب، ومن وعد ووعيد، ومن سرد وقصص، ومن وصف وتشريع، ثم إن العرب كانوا قد جعلوا النثر ميدان براعتهم في التعبير عن المقاصد والمعاني، بعد أن كانوا قد انصرفوا عن الشعر في هذه الفترة الأولى من صدر الإسلام.
د – اتساع وجوه الكلام ومقاصده لاتساع الملك ودواعي السياسة وشعائر الدين.

الخطابة: ازدهارها وخصائصها.

وأما ازدهار الخطابة فكان لحاجة الإسلام إليها، في سبيل الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحميس الجند، فضلا عن حاجة الخلفاء وأمراء الجيش والقضاة والولاة إليها لإعلان سياسة الدولة وتبليغ أوامرها.وهو ما اقتضى أن يكونوا من الخطباء بالضرورة. وتتجلى الخصائص الفنية للخطابة في:

1 – البدأ بحمد الله والصلاة على الرسول.

2 – تماسك الأجزاء فقد أصبح للخطابة موضوع واضح المعالم يجول فيه الخطيب ويصول.

3 – التحرر من قيود الصنعة اللفظية.

4 – الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف.

وقصارى الكلام أن الخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه في اللسان العربي حتى ممن يعد عليهم اللحن. ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل ما سعدت به في هذا الصدر الأول، إذ كان القوم ورؤساؤهم عربا خلصا يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

* **<u>فن الوصايا:</u>**

تطور فن الوصايا كأحد فنون النثر تطورا كبيرا في صدر الإسلام استجابة لروح الإسلام التي تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدعو إلى التعاون على البر والتقوى. وهذا ما أكدته آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول(ص).

<u>فن الرسائل والدواوين:</u>

هو فن نثري ظهر جديدا مع ظهور الإسلام وتطور باتساع رقعة الدولة الإسلامية، حيث أصبحت الخلافة الإسلامية في حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط ذلك، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من دون الدواوين في الإسلام، لكنها بقيت مقصورة على الضروري منها لأن القوم كانوا لا يزالون قريبي العهد بالبداوة. وكان كتاب الرسائل للخلفاء وعمالهم إما عربا وإما موالي ممن يجيدون العربية. أما كتاب الخراج ونحوه فكانوا في كل إقليم من أهله يكتبون بلغتهم فيكتبون في فارس والعراق بالفارسية، وفي الشام بالرومية، وفي مصر بالقبطية. وتتجلى مميزات وفن الرسائل في:

1) الإيجاز والوضوح التام.

2) البعد عن التكلف.

3) فصاحة في التعبير.

مولاي عبد المالك الداودي